الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

إكرام الضيف

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي خلق الكائنات، وتفضل علينا بجوده والرحمات، هو الذي أرسل رسوله بالهدى والبينات، أنزل التوراة والإنجيل والزبور وأتمها بالآيات، علام الخفيات، قاضي الحاجات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا السماوات، مجيب الدعوات، فالق الإصباح، والنظر إلى وجهه الكريم نهاية الغايات، يسمع دبيب النمل وخافي الهمسات، لا تختلط اللغات، يسمع ضجيج الأصوات على اختلاف اللهجات وتعدد العبارات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، أحمده حمد الشاكرين العارفين، المؤمنين المتقين لربهم، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وإمام المرسلين وحبيب رب العالمين المبعوث بخير دين، الهادي إلى صراط الله المستقيم، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

عباد الله، الإسلام موغل في الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة بكلياتها وتفاصيلها وجلها ودقيقها، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم عدل، ومن عفا وأصلح فأجره على الله فضل، والجروح قصاص عدل، ومن تصدق به فهو كفارة له فضل، الإسلام يحتفظ في العلاقات بمساحات العدل وبمساحات الفضل.

سوف أتناول اليوم خلقًا من أخلاق الإسلام، في إطار العدل وإطار الفضل، من الأخلاق النبيلة جدًا ولكن الحضارة المعاصرة لا تعرف هذا الخلق النبيل، لأنه لا مردود، ولا عائد من هذه الناحية. سوف أفتح ملف الضيف، والضيف يعتبر من الأخلاق التفاصيل في الإسلام، هي من تفاصيل الأخلاق.

والضيف في الحضارة المعاصرة المادية لا مكان له، إما لسرعة إيقاع الحياة، وإما لأنه كما أسلفت لا عائد مادي من وراء الضيف. الضيف في البادية وفي الأرياف ويفرح الناس به ويعتبرون قدوم الضيف هو قدوم الخير عليهم، ويستبشرون بذلك. أما في المدن التي تزعم التحضر فإنه من الصعب جدًا أن يكون هنالك ضيف خاصة الذي يأتي على غرة الذي يأتي بغير مواعيد. قد يدعى إنسان إلى بيت يكرم ويحتفى به بعد أن يجهز له وتعد له الميزانية المطلوبة لذلك، أما أن يأتي الأضياف جماعات وفرادى إلى البيوت يطرقونها، أظن هذا في العاصمة وفي بعض المناطق وفي بعض الأحياء من المسائل القليلة جدًا.

الضيف وإكرامه من شيم المرسلين، استبشر بهم ولقيهم، وأول شيء في الآية أن هؤلاء دخلوا لأن الباب فاتح، فإبراهيم عليه السلام دخلوا جوه، معناه فاتح بابه للناس، قال سلام قوم منكرون، فراغ بالفاء، طوالي دخله، شكلكم كذا ما فاطرين، يقولون كدا شكلك ما متغدي.

فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين، وعجل كمان ثمين، الله قال كدا، وأهم حاجة في الإكرام فقربه إليهم، فقال ألا تأكلون؟ فبالتالي الإكرام من سنن المرسلين.

وذم الله قرية، ابن عباس قال هذه أبخل قرية في الدنيا، لا عارف سيدنا موسى عليه السلام ولا عارف سيدنا الخضر عليه السلام، وذمهم الكتاب الخالد إلى يوم القيامة، ذمهم يقرأ عند الأجيال وتتعلمه الأجيال أنهم أبوا أن يضيفوهما.

ومن أكرم الناس أضيافًا رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، قالت له خديجة إنك لتقرئ الضيف، وتصل الرحم وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق، والحديث في الصحيحين، افتخرت بأنه يقرئ الضيف، يقرئ الضيف يعني يكرم الضيف.

أولًا الضيافة في الإسلام حق واجب وليست قضية مزاجية متروكة للمزاج تكرمه أو لا تكرمه، فليكرم ضيفه جائزته، والحديث في الصحيحين أيضًا، قال وما جائزته يا رسول الله؟ قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام وما وراء ذلك صدقة، ده كلام عجيب، يوم وليلة، عشان كده في ناس بعض المناطق في السودان الموضوع ده عندهم أصيل.

وعند الإمام أحمد في المسند يقول صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف.

ثم بعد ذلك الضيف نفسه، عليه أن يكون واعيًا، وأن لا يكون ثقيلًا، وفي ناس بتجنن خمستاشر يوم، ترتب أمورك على أنها يومين بالكتير ثلاثة، الحديث ما قال كده، جائزته يومه وليلته، في نوع ده النوع بتاع الضيوف تقيل وما بيحس مع الناس.

يعني ما تدخل أخوك إن نزلت عنده في الإثم، ما تدخل الناس في حرج، شعرت إنه أحواله صعبة، إذا شعرت بذلك فلا تؤثمه، وتأثمه بأن تثقل عليه حتى لا يقدر على الإقراء اللي هي الضيافة.

مفتوح ضلفتين كويس وعامل كبيرة للضيوف طوالي الأكل شغال والشباب شغال والموية شغالة والشاي شغال كرم جد، لكن كرم جد يا أخي هذي قيم نبيلة وينبغي أن نحافظ عليها.

أورد البخاري ومسلم في الصحيح أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العشاء، ما في أي حاجة في البيوت، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولعل في هذا تربية من يضيف ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو طلحة الأنصاري أنا يا رسول الله، أنا بضيفه، أخذه إلى البيت بعد العشاء سأل زوجه، قالت مرحبا، قال ماذا عندك؟ قالت ما عندي إلا طعام الصبية، قال اشغليهم حتى يناموا.

قال لها إذا جلسنا إلى الطعام فقومي إلى السراج كأنك تصلح فأطفئه، فقامت إلى السراج، ومثلوا لضيفهما أنهما يأكلان ولا يأكلان، يدخلان أيديهما في الطعام فارغة، ويخرجانها فارغة.

وفي صلاة الفجر قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة وقد التفت إليه ووجده في الصف، إن الله عجب البارحة من صنيعكما بضيفكما.

الضيافة خلق أصيل وقيمة نبيلة من قيم ديننا، أرجو وأتمنى أن تظل باقية بين الناس وإن تعسرت المعايش وأوصدت أبواب الأرزاق وقدر على الناس في أقواتهم أن يظل هذا من القيم التي يتفائل بها الناس، وإن الضيف رحمة وإن الضيف خير وإن الخير على قدوم الواردين، كما تعلمنا من مفردات مجتمعنا وقيمه الأصيلة التي يستمدها من ديننا الحنيف، أسأل الله تعالى أن يوفقنا وأن يتقبل منا وأن يعيننا وأن يوفقنا لكل خير ولكل خلق نبيل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وإن من النماذج التي وردت في قيم المروءة والنجدة، والإعانة الضيف والجود والكرم والبر والإحسان وسائر القيم النبيلة هو أن قيس ابن سعد ابن عبادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه وعن أبيه كان رجلًا كريمًا، رجل كريم، وذات مرة باع أرض له، بتسعين ألف، فجاء إلى المدينة، توزع على الناس ثم مرض، وما عاده أحدًا، قام قال يا أخي ليه الناس ما أجوا زاروني؟ قالوا كل يستحي من الدين الذي لك عليه، قال أخزى الله مالًا منعني زيارة إخواني.

قف ونادي إني أحللت الناس جميعًا من ديوني، تكسرت عتبة الدار من كثرة الذين زاروه.

قال والله ما رأيت أكرم مني إلا في البادية، ذهبت فنزلنا في البادية وأنا وأصحابي عند رجل، قال فذبح لنا ذبح، قال فأكلناه، فلما أصبحنا قام يذبح، قلنا له يا فلان، قال إني لا أطعم أضيافي بائتًا أبدًا، اليوم التالت ذبح.

قال فانتظرناه حتى خرج لشؤونه فأخذت صرة من ما لي فوضعتها عند زوجة الرجل، قلت إذا جاء بعلك فقولي له الأضياف يقرؤونك السلام وأعطه هذا، قال ومضينا النهار كله نمشي، قال فإذا برجل في منتصف النهار يطلبنا، قال فإذا الرجل يحمل حربة في يده، قال قفوا أيها القوم، أعطيتموني ثمن قراي؟ والله إما أن تأخذوا الصرة إما أن أطاعنكم حتى أموت أو تموتوا، فأخذنا الصرة نتعجب من شأنه.

هذه أخلاق أصيلة ودائمًا أقول للناس الأخلاق في الإسلام بغير تكلف، الأخلاق في الإسلام بصورة تلقائية وتأتي من خلال الوجدان السليم.

أسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأسأله سبحانه أن يصرف عنا سيء الأخلاق، فإنه لا يصرف عنا إلا هو، اللهم إنا نعوذ بك من البخل والشح ومن غلبة الدين ومن قهر الرجال، اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن ومن غلبة الدين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/إكرام-الضيف/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com